المقتطف

الجزء السادس من المجلد السادس والخمسين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٢٠ — الموافق ١٤ رمضان سنة ١٣٣٨

موازاة بين ربتي تاج

طائف خيال عند الملكة هاتاسو في الدير البحري

كنت جالسة الى الشباك الكبير في طنف البكور، وأسلمت الى الخيال خواطري، ناظرة الى الظل يجري فوق الجبل منهزماً كما تنهزم الحياة. كان الظل يسير ذاهباً وكلما نظرت اليه رأيته يأخذ في الهوي منساباً رجراجاً فوق اقفاف من ذهب. وقد حادت دارة الشمس غير مغمورة بالضياء، والقيض ينحدر على السهول رويداً رويداً، ويصطبغ الفضاء زرقة واحمراراً

مضى ايضاً يوم في طيبة المدينة الساحرة الرائعة التي تهدأ في أكنافها اللوعات، ودنا الليل

وهناك عند حاشية البساط الاخضر من مروج القمح وقصب السكر تتألق دائماً صفحة النيل طرازاً طوالاً، وتخلص للناظر من فوق طرف الصحراء ذرى الاعلام الثلاثة المتباعدة

كل شيء هادىء لطيف لا يبدي حراكاً. والله لكذلك منذ احقاب واحقاب

تمثلت عند ادنى المعبد في جوف الوادي حراس النواحي من السودان معتمدين على مطاياهم كأنما يناجي بعضهم بعضاً سراراً، بينما يهبط حراس المدينة الشقيقة خفافاً واحداً فواحداً خلال عمد الايوان الاقدس البيضاء المهشمة. (بين الانسجام والصمت وهدأة الاشراق لم يكن الا صوت قسيس عظيم من نسل بعض كهنة آمون العظماء يصل الى الآذان حيناً بعد حين

في الهيكل المعد للضحايا على روح هاتاسو كان القسيس يقمر جاهداً طائفة من

آيات الغيب حيث يستمع اليه نفر من العارفين وهو يقول بين يدي صورة الملكة:
« فوق كاهلك منذ الآن كل نفحة من حياة وكل تأثير سحر وكل مدد بقاء »
وكان محيا الملكة العظيمة الهادىء الصافي يتهلل بابتسامة هي لغز من الالغاز، كأنما هي تتحدى غابر الدهر كما تحدت كل ما في الماضي من اضطهاد وعصور اهمال
أليست من جوهر الآلهة ابنة آمون الفاتنة ؟ اوليست تسر في اعماق عينيها الدعجاوين لمحات السر المكنون عن أهل هذا العالم الصائرين للزوال ؟
لا تزال من الاحياء بنت توتاميس واهامي ، وستظل على وجه الدهر ذات وجود وحياة ، برغم ما حل لها من الداء الدوي من ولي الامر بعدها ، ذلك الذي محا سماتها وهشم نقوشها ليبيد كل اثر يحيي تذكارها
سيبقى لسان صدق في العالمين لمليكة الوادي المجيد ، التي هي اول امرأة من سلالة الارباب اقدمت على تولي مقاليد الحكم مع لقب الملوك . لا تزال هاتاسو تفيض حياة وتيه بعزة الظفر ، على ما اصاب مسدها الفخم من البلى ، وعلى ما ضاع من اوراق البردي القيمة ، وبرغم انتصار تومس الثالث الذي لم يستطع عهده الزاهر ان ينفض من عهدها
تجلت للعارفين اسرار التاريخ في تلك الليلة ، ذلك بان تيارات الحياة المتدافعة كانت تبعث الماضي كلهُ منتصباً فوق الجدران المزركشة
مثلت امام الانظار الاطوار المختلفة لعهد هاتاسو تمر على هيئة متعاقبة ، هاتاسو الاهة النضار ذائعة اقطار الارض وحيية القلوب بعد مماتها
بعد مصارعة الدهر ، ومناهضة الدسائس ، ظفرت هاتاسو بعقبى النصر والفخر المجيد برعاية الآله هاتور
كان الارباب يتكلمون ، وأدوار التاريخ تتوالى ، ونحن ننظر صادرة اعيننا ، مبهورة نفوسنا ، الى مشاهد تلك الحياة . وفي روضات آمون تتسامى الاشجار العطرية العطرية ، مرسلة عبيرها في الاطراف الثلاثة الواسعة الارجاء . وكأني أرى المجاهدين آتيين من بلاد الصومال واليمن يئوبون بالفخر والغنائم ، والاسطول الملكي يتهادى في اليم بين شهود ينظرون بأعين مبهورة منتبهين الى اقاصيص البحارة السمراء الظافرين . ذلك مشهد فريد
في المهيع الفخم المكتنف من جانبيه بتماثيل ابي الهول تراءى لي المهندس

الكبير سنموت (الذي كان صاحب الطابع الملكي وكان حلو الطريقة في عرض الشؤون كلها على ربة التاج) يسير الهوينا ليؤدي التحية لهاتاسو عند ما صارت صاحبة الجلالة الالهية بينما أقاليم القطرين تكمل بهجة الاحتفال ، وافدة لوضع الهدايا عند اقدام فرعون العزيزة

لا يضير هاتاسو بعد هذا ما كان من انتقام اعدائها الدنيء وتنبههم لها بالاساءة تنبعاً لابي حتى في قبرها

لا يضيرها أن تكون جثتها الهامدة وجدت في بطن بئر مهجورة مجردة من كل اثر كتابي وان يكون توتمس الثالث لم يجعل لضغنه عليها حداً

لقد عاشت آثارها وعاشت هي ايضاً حين باد غيرها

من ذا الذي يستطيع ان يسلبها ملك اثنين وعشرين عاماً ؟ أو يسلبها فتوحها ومجدها؟

من ذا الذي يمحو آثار همتها العالية ؟

ان الشك في حكمة سياستها يساوي الشك في وجودها

من ذا الذي يستطيع أن يقول مثل مقالتها المنقوشة على بعض جدران بني حسن ؟ : (انني شددت ما كان انهار بناؤه اطلالاً وأكملت ما أهمل منذ كان الاسيويون في ـ اواريس ـ وكانت البربر تعيش معهم في جهالة آمون ـ را)

هل يقدر شيء ان يزيل النقوش العجيبة المحفورة فوق هامة مسلتها المنكسة الى جانب البحيرة المقدسة ؟ :

« آمون مستوعلى عرش ملك العالم، وهاتاسو مليكة مصر قادمة عليه، وقد تجلت ذلك اليوم في مظاهر الملوك من الرجال ، ووضعت على رأسها بيضة القراعة . كان ذلك المشهد في يوم تتويجها ، وفي ذلك اليوم دخلت الملكة الى المحراب المصنوع من حجر الفرانيت الوردي الذي وضعت الاله مخبأ آمون والتي عليها الروح الالهي آمون باسط يده ، وهي جاثية مستديرة بحيث تمس كاهلها أصابع الاله . هنالك يضع آمون يده فوق الكاملة في مركز الحياة ، وبهذا الوضع ينقل السر الروحاني الذي هو مصدر حياة الآلهة في العنصر الجسمي من هاتاسو ويجعلها من الارباب »

لا على هاتاسو بعد هذا أن تمحوها كتب التاريخ من ثبت الملوك ، وألا يوجد اسمها في جدول أبيدوس ، وان يعيبها أحياناً بعض المأفونين من رجال مملكتها لانها لم تكن الا امرأة : (أيتها الآلهة كونوا انصارنا فكن انصاركم في العراك

المحتدم منذ كان العالم عالماً ، بكم تنتصر وبنا تنصرون ، انكم تورثحارب ظلاماً)

قد تتناهى الدول ، وتتعاقب المدنيات ، وتتبدل الممالك ، ولكن لسان الصدق للعظمة والمجد يظل راسخاً في مهاب العواصف الانسانية ، من اجل ذلك كانت هاتاسو من الخالدين

(هذا بيان للاجيال الآتية، متى نزعت قلوبها لفهم هذا البناء الذي اقتتهُ لابي، وبيان لمن يريدون العلم ويبنون افهامهم على الظن المرجم في العصور المقبلة :

كنت جالسة في قصري افكر في خالتي فاتقدح في نفسي ان ارفع لهُ مسلتين، يشق الافق سناهما ، بين يدي المهيع الشريف الواقع بين حصني توتمس الاول . لا تقل لا ادري من ذا الذي قضى بتصوير هذا الجبل الذهبي فان جلالتي هي التي صنعت المسلتين من اجل ابي آمون ليعيش اسمي في هذا المعبد خالداً)

وبعد عصور وعصور ، نزعت انفسنا الى البحث ، فوجدت ضياء المسلتين يشرق فوق القطرين مرشداً للباحثين . ذلك الأثر الذي وصل الينا ، سيهدي ايضاً كل الاجيال الآتية

***

وبينما كان الليل قد شمل البسيطة ، وكل طيبة كلها بزرقته الرائعة، رأيت في خيالي صورة اخرى ، هي صورة ملكة لمصر في عصر آخر تسمى شجرة الدر ، ليست اقل في النفس أثراً ولا اقل طموحاً من اختها

هي اول امرأة في العالم الاسلامي تجاسرت على تولي الملك باسم الملكة عصمة الدين . (شجرة الدر من اصل تركي ، وقد كانت فاتنة الجمال ، موفورة الذكاء

وليت الملك اولاً مع زوجها سابع الملوك الايوبيين ، ولما مات الملك الصالح في أيام محاصرة سان لوي لدمياط اظهرت مهارة سياسية فائقة ، وانتهى امرها بمساعدة صاحب الجيش الى الظفر بالملك بعد صهرها توران شاه الذي قتلهُ مماليكهُ تخلصاً بسوء سيرته

اختيرت بالاجماع ملكة لمصر ، وبويعت باسم الملكة عصمة الدين ، في قصرها بجزيرة الروضة على شاطىء النيل ، ومنذ ذلك العهد اصبحت حياتها محفوفة بالعظائم ، واخذت في تدبير الملك ، فكانت رحيمة محسنة الى الفقراء مسعفة للبائسين وكانت تعرف كيف توفق بين جميع الاحزاب ، ممتازة بلطف حيلتها

وكفايتها في ادارة الشؤون . كانت تدير الملك وتحيا حياتها

ولقد كانت لا تزال وافرة الحسن على انها بنت اربعين، واصبح قصر الروضة — وهو اوفق هالة بجمالها — مركزاً تتجاذب اليه الكواكب المتألقة

وبعد زمن رأت من الحزم ان تسكن القلعة دارة آبائها التي بناها اول الايوبيين صلاح الدين الشهير . وهناك من وراء الحجاب الرقيق الذي يحجب عرشها كانت تحضر مجلس وزرائها

وشجرة الدر هي التي ابدعت حفلة المحمل المصري الذي يرسل الى مكة كل عام ، وهي اول امرأة في الاسلام دعي لها في خطبة الجمعة . وهي اول ملكة في العهد الاسلامي للبلاد المصرية ضربت باسمها نقوداً بل هي في ذلك فذة لا ثانية لها

كان يحبها السادة من رعيتها والفرسان، بل كان يحبها كل شعبها. كانت مصر تجل مليكتها، ولكن هل يمكن في الشرق ان يدوم اجلال لامرأة وان كانت ربة تاج ؟ ؟ لا جرم قد تألب على شجرة الدر مجاوروها من امراء المسلمين، يقودهم أمير دمشق، وعندئذ وجدت نفسها مضطرة الى الزواج بوزير الحرب الذي كان اكبر اهل مصر نفوذاً لتدفع العوادي عن عرشها ، على انها ظلت تسوس البلاد من طريق خفي

ان سرد حياة شجرة الدر منذ ذلك الوقت ليكون تعرضاً لعهد كله من عهود التاريخ المصري، وما أنا بصدد ذلك ، ان اريد الا استحضار صورة امرأة كانت من ذوات العروش

قتل شجرة الدر خصومها السياسيون ، والقوا جسدها وراء القلعة ، فعرفها اتباعها بجلبابها الفاخر المحلى باللآلىء ، وكان مشوها وجهها الجميل . اسرعوا بدفنها في جنح الظلام في مسجد صغير كانت قد بنته لنفسها وثوت هنالك في قبر حقير ملكة مصر ذات العز والجلال

ثم قلت في نفسي : لقد كان لكل من هاتسو وعصمة الدين سجايا رجال الدولة، وبراعة ملوك الشرق الادارة ، ولكن عملها لم يلق من الاحتفاء ما كان يلقاه لو صدر من ملوك رجال أقل منها اصلاحاً

لم ينصف الناس في تقدير قدرها ، ومن عجب ان تاريخ حياتها — الذي أهمل عن عمد تدوينه كاملاً — ينبغي ان يبحث عن حل رموزه في ثنايا الخطوط الغامضة ، في المحضرات المهشمة المبعثرة في دور الكتب والآثار بالعاصمة

تلهي الاضطهاد ، وتعتبهما الحقد وتكران الجميل لانهما كانت امرأتين، ولكن اذا اختفت الكواكب فهل ينكر ما مضى من عهدها الوضاء ؟

وبينما انا اجوس خلال المدافن المقفرة في مدينة طيبه الوديع جعلت أفكر في الغرور الانساني وما في شئون هذا العالم من العجائب

أن الذين بغوا في الارض قد صادفوا اجزاءهم من جنس ما عملوا ، فاني لا اجد بمدينة طيبة الخالدة الآن في هذه الليلة المعتدلة الطقس الصافية الاديم ، بين تلك المقابر الملكية البديعة ، الا طيور الليل، تمزق بصياحها جلال السكون الضارب اطنابه في تلك النواحي

طيبه في سنة ١٩٢٠ قدريه حسين

الوقت المدني

الوقت المدني العام

لكل امة من الامم المتمدنة خط نصف نهار خاص تعول عليه في ضبط الوقت لتنظيم وتحديد اوقات شعائرها الدينية والمدنية لهذا اصبحت جميع الشعوب التي تسكن الاقطار المختلفة متباينة الاوقات . وقد رأت بعض الدول الكبرى ذات المصالح الخارجية ازالة هذا التباين لترتبط مصالحها بالامم الاخرى فعقدت لذلك مؤتمراً دولياً في واشنجتون سنة ١٨٨٦ كان قراره الاخير تنظيم الوقت وتوحيده باتخاذ ساعة رسمية يعول عليها في سائر الاعمال ويتم نفعها جميع الاقطار وقد اصطلح على تسمية هذا الوقت الرسمي (بالوقت المدني العام) المؤسس على تقسيم الكرة الارضية الى ٢٤ قسم متساوية كل منها ١٥ درجة اي ساعة مع اعتبارهم القسم الذي يقع فيه خط نصف النهار المار بجرينويش (في البلاد الانكليزية) مبدأ [illegible] الذي يجب ان جميع الاقسام الاخرى يجب ان تعين في كل وقت تبعاً للساعة التي يعينها خط نصف النهار المعتبر مبدأ معتمدين الساعات وانصافها فقط تاركين الدقائق وكسورها ليجتنب بقدر الامكان العمل بالساعات المحلية فتسير الاعمال بعد ذلك على طريقة عامة مرضية

وقد اتفقوا على تسمية بعض هذه الاقسام باسماء مخصوصة منها : وقت اوربا